

إدارة المعرفة ورأس المال الفكري رؤية إسلامية

أ.د. سعد غالب ياسين
رئيس قسم نظم المعلومات الإدارية
جامعة الزيتونة الاردنية
موبايل: +962777693376
فاكس: +962-6-4291432

مقدمة:

نحاول في هذه الدراسة تقديم إطار نظري معمق لإدارة المعرفة ورأس المال الفكري إنطلاقاً من رؤية إسلامية، رؤية مبتكرة لمبادئ وقيم إدارة المعرفة ولمنهجها وأهدافها وأخلاقياتها ولعلاقة إدارة المعرفة بمكونات رأس المال الفكري على مستوى المنظمة. وتسعى هذه الدراسة الى إعادة قراءة العلاقة التكوينية المتعاضدة ما بين إدارة المعرفة ورأس المال الفكري من خلال النظر في الفكر الإسلامي وتوظيف هذا الفكر في تصميم وتطبيق برامج تنمية وتطوير رأس المال الفكري ودراسة أهم التحديات التي تواجه مشروعات إدارة رأس المال الفكري في المنظمات العربية.

*أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة تقديم الاجابة الوافية على الأسئلة التالية:

- 1) ما هي المضامين الجديدة لإدارة المعرفة؟ وكيف يمكن فهم علاقة إدارة المعرفة برأس المال الفكري؟
- 2) هل توجد رؤية إسلامية لإدارة المعرفة ورأس المال الفكري؟
- 3) ما هي أهم تحديات تطبيق إدارة المعرفة وبرامج رأس المال الفكري في البيئة العربية؟

1-تحليل مفهوم إدارة المعرفة ورأس المال الفكري:

إن أفضل مدخل دراسة إدارة المعرفة هو فهم المعرفة من خلال التمييز ما بين البيانات، المعلومات والمعرفة ثم وضع مفهوم المعرفة ضمن سياق عملية التعلم والذكاء وصلة كل من هاتين الخاصيتين بالذاكرة الإنسانية. ومثلما لا تفصل المعرفة عن البيانات والمعلومات كذلك لا تفصل المعرفة عن عملية التعلم من خلال التجارب، الأمثلة، والنماذج التي تتشكل عبر ممارسة الحياة وما تتضمنه من تجارب ثمينة بنجاحاتها وفرصها، ومحطات الفشل التي يواجهها الأفراد والجماعات، فضلاً عن مخاطر وتحديات العمل والحياة.

البيانات هي المعطيات البكر، الأرقام والأصوات والصورة المرتبطة بالعالم الواقعي كما هو. أما المعلومات فهي نتاج معالجة البيانات الذي يتشكل في صورة معنى مفيد وقيمة مهمة لدعم القرار. المعرفة هي أكثر تعقيداً وأعلى قيمةً من البيانات والمعلومات وتتشكل من مزيج المفاهيم والمعلومات والأفكار والخبرات الممتزجة بالتجربة والحقائق والقيم التي تعمل مع بعضها في تركيب فريد. وإذا كانت المعرفة تتشكل من المعلومات والخبرات والتجارب والفهم المكتسب من التجربة والدراسة فإنها ترتبط بالذكاء والتعلم. الذكاء هو بصورة أولية عبارة عن قدرات ذهنية وإستنتاجية تكتسب من

خلال تراكم المعرفة والخبرة بالإضافة الى قدرات إكتساب وتطبيق المعرفة لحل مشكلات العمل والحياة. أما التعلم فهو ببساطة مهارات مقترنة بالمعرفة وتكتسب من خلال الدراسة والتجربة والعمل. بناءً على ما تقدم، يمكن القول أن إهتمام إدارة المعرفة ينصب على إستثمار موارد رأس المال الفكري وبناء ذاكرة للمنظمة تركز على تبادل المعرفة والمشاركة فيها من خلال عملية منهجية مستمرة (1). ويمكن مماثلة هذا المفهوم بحقل ومفهوم إدارة المعلومات فإذا كان من الواجب بناء وتطوير إدارة لموارد المعلومات في المنظمة خصوصاً والمجتمع عموماً، فإن من الحيوي في عصر المعرفة وضع بنية تنظيمية وإنسانية متكاملة تتولى بصورة منهجية منظمة إدارة موارد المعرفة المتاحة والمتجددة مع التركيز على الجزء الأهم من هذه الموارد وهو رأس مال الفكري الذي يعتبر مورد وأداة لإنتاج المعرفة الجديدة وابتكار وسائل النهوض بالمجتمع والاقتصاد والحياة الإنسانية. أن إدارة المعرفة هي ببساطة مدخل نظامي ومنهجي متكامل لتوجيه وتفعيل أنشطة المشاركة في كل أصول المشروع من المعلومات، موارد قواعد البيانات، الوثائق، السياسات والإجراءات بالإضافة إلى تجارب وخبرات الأفراد العاملين (2).

فضلاً عن ذلك، تتكون عملية إدارة المعرفة من أنشطة استقطاب وتخزين وابتكار المعرفة والمشاركة في تدويرها وإعادة إنتاجها أو ابتكارها وبالتالي نشرها وتوزيعها في داخل المنظمة وبين الأفراد العاملين.

إن إدارة المعرفة في المنظمة هي أولاً وقبل كل شيء إدارة للمعرفة التنظيمية ولرأس المال الفكري ولكل ما تملكه من موارد إنسانية وفكرية ومن طاقات وقدرات خلاقة. إن جوهر إدارة المعرفة يتمثل بتنظيم وتوجيه الأنشطة الاجتماعية في بيئة العمل لتمكين الأفراد والجماعات من عملية المشاركة ونقل المعرفة وعملية تكوين المعرفة التي تتم بطريقة حلزونية Spiral Process تتحرك من المعرفة الضمنية إلى المعرفة الصريحة المكتوبة وتعود إلى المعرفة الضمنية (3). ولهذا السبب يميل كثير من الباحثين إلى تعريف إدارة المعرفة من خلال تحليل مضمون العمليات والأنشطة الوظيفية التي تقوم بتنفيذها، حيث تعرف إدارة المعرفة بأنها حزمة أنشطة استقطاب وامتلاك، تنسيق، نشر، وتكوين وابتكار المعرفة واستخدامها لتحسين أنشطة الأعمال الأساسية من خلال الأفراد، فرق العمل، وعبر المجالات الوظيفية والتنظيمية (4).

ويبدو هذا المدخل أكثر وضوحاً وأشمل نطاقاً من المداخل الأخرى التي تحاول تحليل مفهوم إدارة المعرفة وذلك لأنه يعتمد على النقاط الفكرة المحورية لإدارة المعرفة والتي تتلخص بعمليات استقطاب المعرفة، تكوين المعرفة، المشاركة بالمعرفة، تخزين وتوزيع المعرفة وإدارة التعاضد الإستراتيجي بين

رأس المال الفكري وتكنولوجيا المعلومات بهدف تحقيق الميزة التنافسية المؤكدة. بمعنى آخر، تهتم إدارة المعرفة باستثمار أصول المعرفة Knowledge Assets، أو رأس المال الفكري واكتشاف القيم المخفية Hidden Value وغير الملموسة Intangible للأصول المعرفية والإنسانية الموجودة في المنظمة والمجتمع⁽⁵⁾. إن إدارة المعرفة هي منهجية منظمة لإدارة جدلية البيانات، المعلومات، المعرفة والحكمة.

ويمكن النظر إلى جدلية البيانات، المعلومات، المعرفة والحكمة بأنها سلسلة من القيمة المضافة المتدفقة من البيانات (المادة الخام ذات القيمة المنخفضة والمعلومات ذات القيمة المضافة بعد معالجة البيانات والتي يمكن أن تتحول إلى بصيرة Insight تتسع إلى رؤية أشمل من المعنى المباشر للمعلومة. وينتج عن مزيج المعلومات والمهارات والخبرات والفهم المكتسب من تجارب العمل والإنتاج (الفكري والمادي) قيمة عليا تتمثل بالمعرفة بمختلف أنواعها ومضامينها وحقول تطبيقاتها. غير أن المعرفة في هذه السلسلة ليست قيمة نهائية من منظور تاريخي وإنساني وحضاري، ذلك لأن المعرفة الولودة بمكان القوة قد تؤدي إلى الغلبة والمجادة التي تفرض هيمنة مادية على (الأخر) وهنا تفقد المعرفة روحها وتتدهور قيمتها مهما طاللت هيمنتها ومهما علّت قواها المادية.

إن القيمة الاعتبارية الأهم في سلسلة القيمة أو قل في هرم القيمة هي الحكمة Wisdom التي تقضي إلى الحق. فالمعرفة التي تقضي إلى الحكمة هي طريقنا إلى الحق ومعرفة الحقيقة. قال الله تعالى في كتابه العزيز "ولقد آتينا لقمان الحكمة"، ولم يقل وعاتينا لقمن المعرفة، لأن الحكمة أعلى قيمة من المعرفة. الحكمة هي زبدة المعرفة وجوهرها. والحكمة هي وسيلة الإنسان للإمساك بالعروة الوثقى أي بالحق "وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" {سورة لقمان، آية 22}.

2- تحليل مفهوم رأس المال الفكري:

إن إحد أهم الأنشطة الجوهرية لإدارة المعرفة هو إدارة وتقييم وقياس رأس المال الفكري في المنظمات العامة والخاصة. ويرتبط أهمية هذا النشاط بتصاعد قيمة اللاملموسات وتزايد قيمة رأس المال الفكري في إقتصاد المعرفة الجديد حيث يعتبر رأس المال الفكري مصدر الثروة والنمو ودالة الميزة الإستراتيجية المستدامة.

وفي عالم اليوم تحتاج كل منظمة إلى رأس المال الفكري لديمومة حياتها، ولإعادة إنتاجها وحل مشاكلها كما لا توجد في عالم اليوم ولن توجد في عالم الغد منظمة تخلو من رأس المال الفكري.

يبقى السؤال هو كيف يمكن إدارة رأس المال الفكري لتحقيق الميزة التنافسية والإستراتيجية المستدامة؟ وكيف يمكن إستثمار رأس المال الفكري لتحقيق الفريدة والإمتياز والريادية والإبتكار في الأعمال؟ ثم كيف يتم تقييم وقياس رأس المال الفكري في المنظمة؟

أن رأس المال الفكري هو القيمة الاقتصادية للأصول غير الملموسة (أصول المعرفة) في المنظمة. وهو القيمة الاقتصادية لرأس المال الإنساني ورأس المال الهيكلي ورأس المال العلائقي في المنظمة. رأس المال الإنساني يتضمن الموارد الإنسانية في داخل المنظمة ويشمل أيضاً الزبائن والموردين وشركاء الأعمال في خارج المنظمة. ويعتبر رأس المال الإنساني مصدراً غنياً للأفكار والإبداع و هو يرتبط برأس المال الهيكلي. أما رأس المال الهيكلي فيشير إلى نظم وتكنولوجيا المعلومات، مستودعات البيانات وحقوق ملكية البرامج والنظم، وشبكات التوزيع وسلاسل التوريد. بينما يشير رأس المال العلائقي الى رصيد المنظمة مع زبائنها وشركاء أعمالها.

وبذلك تكون أصول المعرفة جزءاً مهماً من رأس المال الفكري (IC). فأصول المعرفة هنا هي كل ما يمكن معرفته ويمكن قياسه. بمعنى آخر، إن أصول المعرفة هي كل ما تمتلكه منظمة ما من أصول معرفية وفكرية ذات قيمة ثقافية واقتصادية وتنظيمية ولكنها غير ملموسة كما هو حال الأصول المادية الأخرى التي لا تتأثرها بالخصائص ولكنها تتأثرها بالاسم والوظائف. بإختصار يمثل رأس المال الفكري توليفة شاملة ومتنوعة ومتكاملة من المعرفة، المعلومات، الخبرات، التجارب التي يمكن استخدامها لإنتاج القيمة وتحقيق الثروة وتكوين ميزة إستراتيجية. المهم في الأمر هو وضع خارطة تبصيرية لتحديد مكان رأس المال الفكري في المنظمة وفهم كيف يساهم كل عنصر من عناصره في تكوين القيمة المضافة وذلك كمقدمة لوضع مسار منهجي يمثل خارطة طريق لتطوير وتنمية جميع مكونات رأس المال الفكري تعزيزاً لقيمه الإجمالية وتأثيره في بناء المستقبل المنشود.

3. الرؤية الإسلامية لإدارة المعرفة ورأس المال فكري:

على عكس العقل الغربي الذي يدرك معاني المعرفة كشظايا من الدلالات المتناثرة والطافية على سطح الواقع والخطاب يُدرك العقل الاسلامي المعرفة من خلال كلياتها وسياقها التاريخي. فبينما تُصنّف المعرفة في الادبيات الغربية على أنها معرفة صريحة ومكتوبة او ضمنية وغير نصية

فإن المعرفة كما يرى الكندي تحصل بثلاثة طرق: الحواس، العقل، والقلب. وتمثل الحواس وكذلك العقل الجانب المادي مقابل الجانب الروحي الذي يمثله القلب وقوى الإدراك الأخرى وفي مقدمتها المخيال.

الحواس موجودة في الإنسان منذ أن خلقه الله، و المحسوسات لها وجود خارجي منفصل عن الذات العارفة ويقع القلب ما بين الحس والوجود الخارجي. أما القلب فهو طريق للإيمان ويعمل عند الفارابي فوق حدود العقل ولهذا فإن العقل يُثبتُ الغيبيات والقلب يؤمن بها .

إن الفارق ما بين نظرية المعرفة في المنظور الإسلامي والفكر الغربي بما في ذلك الأدب التقليدي لإدارة المعرفة يتمثل في مصادر المعرفة وخوارزميات تكوينها وإبتكارها. فالمعرفة لا تبدأ من العقل وإنما من الوجود (وما يمثله من بيئة ومحيط خارجي). ان الوجود والسياق لا يعدو عن كونه بيئة خاضعة لعمليات تكوين المعرفة كما نرى في المنظور الياباني والغربي لإدارة المعرفة بينما يمثل الوجود الطبيعي والبيئي المصدر الأهم للمعرفة بكل أنواعها وتطبيقاتها في الفكر الإسلامي. إن جدلية تكوين المعرفة وبالتالي رأس المال الفكري في الفكر الإسلامي تبدأ من الحواس الى المخيلة والى العقل في مراحل ومراتب من التجريد والانتزاع (اي العمليات التي تنتقل بها الصورة من المحسوس الى المعقول.

ويتجاوز المنظور الإسلامي للمعرفة النظرة الغربية التي لا ترى في المعرفة سوى ما هو مكتوب ومرمّز لأن الإنسان في المنظور الإسلامي هو محور عملية المعرفة وعمارة الكون و الاستخلاف فيه.

تأسيساً على ما تقدم، يمكن تحديد اهم المبادئ التي يستند عليها المنظور الإسلامي لإدارة المعرفة ورأس المال الفكري بما يلي:

1. ان مصادر المعرفة متعددة ومتراصة وأهمها الحس والعقل و القلب. وبالنتيجة فإن المعرفة على نوعين تصوّريّة وتصديقية. المعرفة التصورية حسب نظرية الانتزاع الإسلامية تتشكل كمعاني عن طريق الحس ثم ينشأ الذهن بناء التصورات الثانوية فيبدأ بذلك دور الابتكار والانشاء وهو الذي تصطلح عليه هذه النظرية بالانتزاع حيث يُولد الذهن مفاهيم جديدة خارجة عن دائرة الحس.

2. ان المعرفة الانسانية (والتنظيمية) صيرورة مستمرة في تصاعد وتقدم دائم تبدأ بالحس ثم المخيلة و العقل.

3. يتقدم البعد الانطولوجي (الوجودي) على نظرية المعرفة وهو اتجاه معاكس للنظرة الفلسفية الغربية وبالتالي لا بد من الاعتماد على المجال المشروع للعقل من اجل بناء معرفة اكيده. وعبارة ابن خلدون نفسه فإن العقل ميزان صحيح واحكامه يقينية لا كذب فيها.

4. تقدم المعرفة الانسانية لاحدود له لأن العالم يُعَمَّره الوجود بالقوة وممتلئ به وانّ ما يوجد بالقوة لا بد ان يخرج الى الفعل فالطبيعة لا تفعل باطلاً كما يرى ابن رشد (6). ان المعرفة تتقدم وتتراكم عند ابن رشد عبر الاجيال وان المتقدم السابق يمهد الطريق للمتأخر اللاحق. ويمكن تطبيق هذا المفهوم على المعرفة التنظيمية وتراكمها وتقدمها عبر اجيال العاملين في المنظمة.

5. انسانية المعرفة هي قاعدة الفهم والتفاهم والمشاركة وهي جميعها قائمة على تطابق العقل والوجود (البشري والطبيعي) وهو عند ابن رشد فضيلة اخلاقية. أما العقل فهو ليس اكثر من ادراك نظام الاشياء الموجودة وترتيبها (7) لذلك أوجب الشرع النظر بالعقل في الموجودات من خلال استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه وهذا هو القياس كما يقول ابن رشد. وهكذا فإن المعرفة في الاسلام تأتي من الحس والعقل والنقل وعند الصوفيين تأتي ايضاً من القلب. فمعرفة القلب هي الإدراك الشامل وغير مباشر للإشياء بينما معرفة العقل هي ادراك جانب من جوانب الاشياء . المعرفة الاولى تجربة ومشاهدة و المعرفة الثانية حكم تجريدي. وفي كل الاحوال وبغض النظر عن مصدر المعرفة يمكن للإنسان الوصول الى الحقيقة والحق وهو ثمرة الحكمة مثلما ان الحكمة هي ثمرة المعرفة.

6. إكتسابية المعرفة. عن إكتساب المعرفة يقول الله جلّ وعلا:

"وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أُمَّمَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ هَيْبَةً" (النحل، 78).

وكذلك في سورة العلق " عَلِمُوا الْإِنْسَانَ مَا لَا يَعْلَمُ" (العلق، 5). ومجالات إكتساب المعرفة عالمي الشهادة والغياب. عالم الشهادة الذي يُدرك بالحواس والعقل وعالم الغيب وطريقة الوحي والعقل يَسَلِم بوجوده.

7. غائية المعرفة الإنسانية ونسبيتها. غائية المعرفة في الوجود فتشير إليها الآية القرآنية: " وَمَا كَلِمَةٌ إِلَّا لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمْ لَابْعَدُونَ" (الداريات، 56). أما تَبَيُّنُهَا فتُعَبِّرُ عنها الآية: " وَمَا أَوْتِيْتَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء، 85).

وفي الوقت الذي يؤكد فيه الإسلام على غائية المعرفة ونسبيتها فإنه يركز وبإستمرار على أن المعرفة وسيلة الوصول الى الحكمة وأن الحكمة هي ثمرة المعرفة. يقول الله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ احْكُزْ لِلَّهِ وَمَنْ يَحْكُزْ فَإِنَّمَا يَحْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحَمِيدٌ" (لقمان، 12).

ويتكرر تسلسل العلاقة بين المعرفة والحكمة في آيات كثيرة كما نرى في سورة آل عمران: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ ضَلَالٍ مُبِينٍ" (آل عمران، 164). وفي سورة البقرة: "رَبَّنَا وَأَبْعِدْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (البقرة، 128). وتأتي الحكمة بعد المعرفة والعلم المكتسب في قوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمْنَا مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا" (النساء، 113).

إن الحكمة وإن كانت ثمرة للمعرفة إلا أنها غاية لا يصل إليها الإنسان من دون معرفة وتفقه بالأشياء والإصابة بالقول والعمل (8).

ولأن المعرفة أساس الفضيلة فإنها تقود إلى الحكمة كما تقود الحكمة إلى الحق والحق هو ناصية الحكمة والقيمة المثلى في هرم العلاقة بين البيانات، المعلومات، المعرفة، الحكمة والحق. يقول الله تعالى: "وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا".

ولقد ورد ذكر لفظ الحكمة في القرآن عشرين مرة: الكتاب والحكمة عشرة مرات، الحكمة ثمانية كما ظهرت مقترنة بالملك والموعظة الحسنة وفصل الخطاب (9). غير أن علاقة المعرفة بالحكمة لا تحل مشكلة المعرفة نجد ذاتها لأن هذه المشكلة هي قضية ملازمة للوجود الإنساني وللمصير الفردي والجماعي على حد سواء ذلك إن حدود المعرفة وكيفية إكتساب المعرفة وعلاقة ذلك بالفضيلة والأخلاق وخيارات الإنسان في كل زمان ومكان هي القضية الأهم والأكثر تعقيداً. وتبين لنا قصة موسى مع الخضر طبيعة المعرفة ونسبيتها بين الناس وبخاصة عندما تطرح مشكلة المعرفة على مستوى الخير والشر (10).

3. مُحدّات إدارة المعرفة ورأس المال الفكري:

إن عملية إدارة المعرفة ورأس المال الفكري من منظور إسلامي ترتبط بمنهجية في التفكير تختلف بصورة جذرية وشاملة عن نموذج العقل الغربي. ومن أبلغ والمقارنات بين العقل الإسلامي والعقل الغربي ما قدمه لنا مالك ابن نبي من خلال قرائته العميقة والذكية لقصة حي بن يقظان لابن طفيل التي تُمثل منهج تفكير العقل الإسلامي وقصة روبنسون كروزو لدينال ديفوي. فبينما يبدأ روبنسون كروزوفي عزلته من وقائع ملموسة محاولاً التغلب على كآبة الوحدة بالعمل ثم يبني أفكاره حول الأشياء التي تحبب به فإن مغامرة الوحدة لحي بن يقظان تأخذ إتجاهاً مختلفاً ومعاكساً وبخاصة

صدمة موت الغزاة التي تَبَنَّتْهُ كطفل منعزل فيبدأ من جزع و الموت صعوداً الى عالم الروح وفكرة الخالق. إنه صعود بالفكر الى الخالق، صعود عقل حي الذي حمل مع رفيق الصدفة أسأل الى مواطني ورعايا الحكيم سليمان ثمره تفكيره⁽¹¹⁾. هذا يعني ان منهجية تفكير العقل الإسلامي تبدأ من المطلق الى النسبي ومن العام الى الخاص ومن الكل الى الجزء ومن التجريد الى التفصيل. عقل يحلق كطائر حر الى السماء قبل أن يهبط بجناحيه الى الأرض على عكس العقل الغربي الذي ينشغل بالماديات والجزئيات ويبني فكره بناءً على ما يكتشف من علاقات بين عناصر المادة والطبيعة.

العقل الإسلامي وان كان يُحَلِّقُ في السماء إلا أنه يفترش الأرض سبراً وتمحيصاً وعملاً وبناءً. ومثالنا العظيم في ذلك سيرة الرسول الكريم محمد (ص) فالرسول لم يكن نبياً هادياً حاملاً للرسالة حسب بل كان نرى من سيرته رجل حقائق يبصر بعينها كما يبصر قريبها وإذا أراد تحقيق هدف ما هياً له أسبابه وبذل كل ما يملك من جهد إنساني وفكر وقيادة.

إن محمد (ص) وصحبه تعلموا وخاصموا وسالموا وانتصروا وإنهزموا، تعبوا أكثر مما تعب اعدائهم وحملوا المغارم الباهضة في سبيل الله⁽¹²⁾. هذا النموذج في التفكير وإنتاج المعرفة يتجاوز المبدأ الديكارتي في الانفصال والذي فرض نفسه منذ القرن السابع عشر وحتى اليوم ما بين الذات والموضوع، الفكر والوجود، الروح والمادة. النموذج الديكارتي يفرض نظرية ثنائية منفصلة بين عالم الأشياء الذي يخضع للملاحظة والتجربة وعالم الذات الإنسانية والمعنوية التي تتمثل مشاكل الوجود والوعي. وهذا يقود الى تشطي العقل والمعارف والتعلم فتغدو المعرفة الدينية مستقلة ومنفصلة عن معرفة العلوم الطبيعية والتطبيقية⁽¹³⁾.

على هذا الأساس، نرى أن من غير الممكن قبول المنظور الغربي لإدارة المعرفة ولبناء وتطوير رأس المال الفكري فهم إنتاج المعرفة وتكوين رأس المال الفكري. ذلك لأن المنظور الإسلامي لإنتاج وتطوير المعرفة وبناء رأس المال الفكري يرى وجود تعددية في مصادر المعرفة ووسائل إنتاجها. فضلاً عن ذلك، يرى المنظور الإسلامي ان في عملية إنتاج المعرفة أو تكوينها تتعايش المعرفة الضمنية مع المعرفة النصية والنصية مع الضمنية. وأن حركة المعرفة الصريحة وتحولها الى معرفة ضمنية هي حركة اعتماد بينما تصبح حركة انتقال عندما تكون المعرفة ضمنية وتنتقل الى معرفة صريحة. ومع ذلك فإن المشكلة الجوهرية التي تواجه عملية تكوين المعرفة التنظيمية او أي نمط آخر من المعرفة تكمن في رسوخ آلية التقليد وغياب الابتكار وإعمال العقل لعوامل معقدة تعود الى ظروف تاريخية رافقت تدهور الحضارة العربية الإسلامية.

ولكي نفهم محددات بناء رأس المال الفكري لا بد من فهم محددات تحول المعرفة الضمنية الى معرفة ضمنية والتي من أهمها سيطرة اللفظ الذي يغدو في البيئة العربية وكأنه طائر يطلق بنفسه بعيداً عن المعنى بل يتصرف ويستبد بالمعنى تكراراً وإجتزاًراً. اما محددات تحولات المعرفة الصريحة الى الضمنية فتعود الى هيمنة رسوخ قوة العادة في العلوم النظرية والطبيعية التطبيقية.

بالإضافة الى ما تقدم، توجد محددات مهمة في تطبيق برامج ومشروعات إدارة المعرفة ورأس المال الفكري في البيئة العربية ومن أهم هذه المحددات الضعف الواضح في البنية التحتية المعلوماتية والتكنولوجية الضرورية لعملية تطوير نظم إدارة المعرفة فمعظم المنظمات العربية لا تزال غير جاهزة لبرامج إدارة المعرفة لا من حيث توافر قواعد البيانات، مستودعات البيانات ولا نظم المعلومات. كما تفتقر هذه المنظمات الى البنية التنظيمية الداعمة لعمليات استقطاب المعرفة، تكوين وإبتكار المعرفة، والمشاركة بالمعرفة لان هذه العمليات تتطلب وجود ثقافة تنظيمية تتوجه نحو الإبتكار والإبداع والتفكير والعمل الجماعي. ثقافة تتوجه بصورة منهجية ومنظمة نحو بناء رأس المال الفكري بمكوناته الأساسية لان في ذلك السبيل الوحيد لكي يتحرر العقل العربي من عقاله ويمارس حرية التفكير والابداع كما أرادها الإسلام.

وفي هذا السياق تحتاج منظماتنا العربية إذا أردت تطبيق الرؤية الإسلامية لإدارة المعرفة ورأس المال الفكري أن تتحرر من سيطرة الثقافة الشفهية وتنتقل الى الثقافة المكتوبة. إن الميل النفسي الشديد نحو المعرفة الضمنية والاستقواء بالذاكرة قد أفقد أمتنا جزءاً كبيراً من تراثها الفكري والثقافي والعلمي وقد كانت الخسارة فادحة وكبيرة حتى يمكن القول أن عدم الإهتمام بتسجيل وتوثيق المعرفة العربية الإسلامية قد كان أحد أسباب تدهور حضارة الأمة. أما اليوم فقد أصبحت مسألة توثيق وترميز المعرفة الضمنية (بكل أنواعها) وتحويلها الى معرفة صريحة ومكتوبة قد أصبحت مسألة هوية لأن العقل الشفوي لا يمكن أن يملي مقولاته ولا يستطيع في هذا العالم المعقد أن يثبت هويته ويفرض مقولاته على الآخرين. إن الإنتقال من المعرفة الضمنية الى الصريحة، أي بمعنى الإهتمام بتوثيق وترميز المعرفة الضمنية يعني الإنتقال من تأمل الذات التي تستعيد نفسها وتجتر ذكرياتها الى الذات التي تفهم ذاتها وتتأمل العامل والطبيعة لإرتيادها وإستكشافها. بإختصار، يجب أن تكون الأولوية في منظماتنا العربية التي تخطط لتطبيق برامج ادارة المعرفة للكتابة على القول والقراءة على الحكاية والفهم بدلاً من سرديات اللفظ. كما تحتاج منظماتنا العربية الى مغادرة خطاب السلطة الادارية القائم على اساس ممارسة القوى الى خطاب المعرفة الذي يعني المخالفة واستثارة الرأي

الأخر والتساؤل المستمر للتزود بالصدق واليقين وتعميق ثقافة الحوار وتعزيز عملية المشاركة بالمعرفة التنظيمية.

الخاتمة:

لقد اصبحت المعرفة ورأس المال الفكري مورداً إستراتيجياً وثروة متجددة لا تتضب للمجتمعات المعاصرة وما نحتاجه اليوم هو العمل من اجل تعزيز الفهم المعمق بإدارة المعرفة ورأس المال الفكري. نحن حقاً بحاجة الى معرفة بإدارة المعرفة في منظماتنا ومجتمعنا. وبعد ان يتشكل هذا الفهم لا بد من قراءة أدب إدارة المعرفة ورأس المال الفكري من منظور عربي إسلامي يتجاوز آلية النقل الحرفي لنماذج وتجارب الآخرين ذلك لان مفاهيم ونماذج وبرامج وتقنيات رأس المال الفكري قد

تشكلت ضمن سياق ثقافة الآخر (الياباني أولاً والإنكلو ساكسوني ثانياً) وبالتالي توجد حاجة ملحة الى تهيئة برامج ومشروعات إدارة المعرفة ورأس المال الفكري في البيئة العربية وفي ضوء المزوجة الولودة المبدعة لفكرنا ومنهجنا العربي الإسلامي ومعطيات التجارب الفريدة والناجحة في مجال إدارة المعرفة.

فبدلاً من النقل الحرفي لتجارب ومشروعات تقييم وقياس رأس المال الفكري يكون البديل هو تهيئة ومواءمة أدب إدارة المعرفة مع فكرنا وواقعنا لأن في هذا الضمان الأكيد لنجاح مشروعات تطبيق إدارة المعرفة ورأس المال الفكري في منظماتنا ومؤسساتنا العربية.

وبعد المشروع في تطبيق هذه المشروعات والبرامج على مستوى المنظمة لابد من الانتقال الى تطوير برامج رأس المال الفكري على مستوى الوزارات ومن ثم على مستوى مجتمعاتنا في كل دولة عربية.

وبعد،

نسأل الله جلا وعلا العفو والمغفرة عن كل ذنب وزلل ونعتذر سلفاً عن كل خطأ وعزاؤنا أننا إجتهدنا ومن يجتهد فله الحق أن يخطأ أحياناً ويصيب أحياناً أخرى. ونسال الله أن يجزل لنا الاجر والثواب. اللهم إنفع به على قدر الإخلاص فيه وهيئ لنا فرصة أخرى لتنفيذ أهلنا وأبناء أمتنا العربية والإسلامية.

الهوامش

- 1- Malhorta Yogesh (1999). Knowledge Management for Organization Wite-Waters: An Ecological Framework, Knowledge Management, UK, March, P. 18-21.
- 2- Hackett Brian (2003). Beyond Knowledge: New Ways To Work and Learn, The Conference Board.
- 3- Nonaka, L. and Tekeuchi H. (1995). The Knowledge Creating Company, New York: Oxford Press NY, U.S.A.

- 4- <http://www.elluminati.com>
- 5- Malhotra Yogesh (2000). Knowledge Assets in the Global Economy: Assessment of National Intellectual Capital, Journal of Global Information Management, July-Sept 8(3), P. 5-15.
- 6- الجابري، محمد عابد (1998)، ابن رشد ، سيرة وفكر : دراسة ونصوص، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، تشرين الاول/ اكتوبر.
- 7- ابن رشد (1998)، تهافت التهافت، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية .
- 8- الكردي، راجح عبد الحميد (1992)، نظرية المعرفة بين القرآن والسنة، الرياض مكتبة المؤيد/ ط 2.
- 9- حنفي، حسن (2000)، من النقل الى الإبداع، المجلد الاول، القاهرة: دار قباء للطباعة النشر والتوزيع.
- 10- الجابري، محمد عابد (2008). فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، القسم الثاني، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- 11- نبي بن، مالك (2006)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، بيروت: دار الفكر.
- 12- الغزالي، محمد (2005)، فقه السيرة، القاهرة: دار الشروق.
- 13- اركون، محمد (1996)، تاريخية الفكر الإسلامي، بيروت: مركز الإنماء القومي، ط 2، ترجمة هاشم صالح، ط 2